

يلملم حالة العقل العربي؟

- هي عملية إجرائية يقوم بها الباحث لكي يسهل عليه تناول هذا التراكم المعرفي الذي أنتجه الفكر العربي والفكر الإسلامي، ولا ننسى أن الجابري لديه كتب في فلسفة العلوم الرياضية وفلسفة العلوم الفيزيائية بمعنى أن هناك علاقة تكوين وتأطر بمناهج البحث في العلوم الإنسانية الحديثة وانفتاح أساسه درس الأبيستومولوجيا ودرس اللسانيات وهذين المدرسين هما الذين وجها الفكر الغربي المعاصر، والجابري حينما وضع هذه المفاهيم وحاول أن يقسم الفكر العربي إلى بياني وبرهاني وعرفاني فإن هذا العمل هو عمل إجرائي اقتضته ظروف البحث لكي يسيطر على هذا الإنتاج الهائل والمتراكم في الثقافة العربية والإسلامية، وقد يتجاوز الجابري هذا التصنيف إلى تصنيفات أخرى والذي فرض عليه ما سبق هو قراءته العميقة والغوص مسلحاً بمناهج بحث أفادته بأن يصنف لكي يسهل على نفسه عملية إيجاد جسم لهذه الأفكار. أراد أن يعطي لهذا التراث وهو الفكر العربي الإسلامي على مدى 14 قرناً أراد أن يعطيه جسماً حتى يستطيع أن يتمكن من مساءلته ومحاورته حتى يكون شيئاً حياً أمامه. ومن خلال غوصه وبحثه رأى أن كل ما يدور في فلك العلم الديني كقرآن وكحديث هو أقرب إلى البيان. لأن المعجزة الإسلامية بنيت على البيان. وكل ما هو أت من الفلسفة القديمة وقبل اليونانية وما بعد الأفلاطونية المحدثة فهو عرفاني، وكل ما بني على أساس أرسطو وطوره لاحقاً ابن رشد فهو برهاني. ومن هذا المنطلق استطاع الجابري أن ينهي مشروعه بشيء مهيب وجبار وهو تفسير القرآن بأدوات جديدة ليس منها أن تمتلك ناصية اللغة وتفسر القرآن تفسيراً نحويّاً أو بلاغياً نحوياً كما فعل الزمخشري أو بلاغياً كما فعل آخرون أو أدبياً كما نجد لدى السيد قطب رحمهم الله جميعاً. الجابري أراد أن يقرأ القرآن قراءة مسلحة بأدوات العلوم الإنسانية تسائل الرأس مال الرمزي للإنسان أو اللاشعور المعرفي الذي هو موجود في داخل كل مسلم وكل عربي الذي حينما ينتج يصبح تراثاً مكتوباً.

نويهض: حصر العقلانية والبرهانية في مكان معين وعزله عن مكان آخر افتقد إلى المنهجية التاريخية

○ هناك محاولة لتبئية أو أقلمة البرهان في بيئة جغرافية والبيان في بيئة جغرافية أخرى إلى أي مدى استطاع الجابري من خلال هذين المفهومين قراءة البيئتين باعتباره قارئاً للعقل السياسي الذي ينتج حالات قطيعة معرفية بين المغرب والمشرق؟

- يجب التمييز بين قراءة الجابري وأي قراءة أخرى للنص. فهو ينهبك إلى المخزون القوي من المعرفة في مجال التراث والاطلاع على المدارس الفكرية والمناهج الأوروبية الحديثة، هذا المزج أعطاه القدرة على تفكيك النصوص ورؤية مالا يراه غيره في هذا النص، هناك نصوص قرأها الآلاف والملايين ولكن القدرة على الاجتهاد في النص وانطلاقه من الواقع المعاصر كان محصوراً في قلة من المفكرين ممن عندهم القدرة على استقراء النص بطريقة أكثر عصرية مستفيداً من العلوم المعاصرة وهذا كان جهد الجابري.

في السؤال إشارة إلى جغرافية وإقليمية المدارس الفكرية وتاريخية المدارس الفكرية. فقد تنطلق الأفكار من بيئة جغرافية محددة في البداية ولكنها



محمد آيت وعلي خلال حديثه

تاريخياً تنتقل، فعندما كتب مثلاً صاعد الأندلسي في طبقات الأمم تحدث عن انتقال الأفكار، الأفكار تنتقل وترحل من بيئة إلى بيئة وتتطور بحسب البيئة الجديدة ثم تنتقل إلى بيئة أخرى، كما حصل مع الفلسفة اليونانية إذ تم ترجمتها إلى العربية وأخذ بها بدايةً من ثم تم تجاوزها لاحقاً، فبالتالي هناك البيئة والمواد والمصادر الأولى للمادة وهناك خضوع المادة إلى التطور التاريخي والانتقال من جغرافيا إلى جغرافيا من زمن إلى زمن ومن ثم إعادة إنتاجها وإخضاعها إلى المزيد من التقدم.

○ رغم ما أشرت إليه هل أسس الجابري إلى قطيعة معرفية أخرى عبر هذا التقسيم وإن كان لجوؤه إليه لجوءاً منهجياً .

- الاختلاف لم يكن في البداية وإنما كان في عدم المتابعة التاريخية للفكر وبالتالي حصر العقلانية والبرهانية في مكان معين وعزله عن مكان آخر، افتقد هذا المنهج التاريخي فقد ظل أسير المنطلق الجغرافي، وكذلك موضوع التصوف والصوفية الذي انتقل إلى المغرب وكانت هناك مدارس مغربية صوفية مهمة تختلف عن المشرق وعن بعض المناطق ولها طبيعتها وخصوصيتها. المدارس الصوفية موجودة وهي مثال على العقل العرفاني. الإمام الشاطبي دعا إلى مؤتمر في عصره لبحث مشكلة مدارس التصوف التي اجتاح المغرب أيامه ، أي في عصر ابن خلدون (الشاطبي يكبر ابن خلدون بـ 19 عاماً) وحدث خلاف بين الشاطبي وابن خلدون حيث لم يدع ابن خلدون إلى هذا المؤتمر وبالتالي أدى ذلك إلى انزعاج ابن خلدون وكتابته (شفاء السائل) عن حركات التصوف. إن المدارس العقلانية كانت في حالة تفاعل وانتقال بسبب التقاليد الدينية ورحلات الحج، وبالتالي كان هناك دائماً نوع من التلاقح. من المهم الإشارة إلى أنه لم تكن هناك عملية تعقب تاريخي وتحقيق تاريخي في هذه المسألة وقد انتبه إليها الجابري باشتغاله على القرآن حين اتخذ المسائل التاريخية كأساس. المنهج التاريخي في قراءة القرآن الذي اتبعه الجابري يعتبر خطوة نوعية جديدة وتأسيسية وكانت هذه آخر أعماله وكان من الطبيعي والبدهي جداً أن شخصاً قضى 40 عاماً من حياته يعمل على التراث ويحفر فيه أن يصل إلى البداية الأولى إلى الكتاب الذي أسس كل هذا، فكان منطقياً جداً أن ينهي الجابري حياته بتفسير القرآن وهذا تفسير جديد أي أنه أعاد ترتيب الآيات القرآنية بحسب النزول وقام بدراساتها رابطاً مسألة التفسير بنقطتين السيرة النبوية وتاريخ الدعوة. وربطها

بالآيات، آية بعد آية من البداية إلى النهاية. هذه الملاحقة التاريخية أو هذا التعقب التاريخي يعتبر إنجازاً مهماً وخطيراً جداً ويمكن يؤدي إلى ردود فعل لا تقل عن الردود التي حصلت ضده في الموضوعات الأولى.

الديري: الجابري قرأ العقل العربي كقصر مكون من مجموعة من الغرف المتصلة

○ لعل كثير من المشاريع كان منطلقها الواقع العربي والبحث في سؤال النهضة عبر إعادة النظر في التراث، ألا ترى أن إرجاع الجابري العقل العربي إلى مسائل البيان القديمة اللفظ والمعنى وصراعات التأويل هي مسائل تم تجاوزها في عصر الآلة وما عاد لها من أثر كبير وأن المتحكم في العقل العربي الحديث هي أشياء أخرى طرأت عليه لاحقاً.

- ذكرت المنطلق ومهم جداً مع الجابري كرجل يؤسس للأفكار دائماً على أصولها أن نتحدث أيضاً عن أصول الجابري ومنطلقه في مقدمة كتابه «تكوين العقل العربي». يقول الجابري أنه يريد أن يقرأ العقل العربي كقصر مكون من مجموعة من الغرف ولا يريد أن يقرأه كمجموعة من الخيام المنفصلة، بمعنى أنه يريد أن يقرأ العقل العربي كوحدة لها سور وسور هذا القصر هو الذي يجمع هذه الغرف المشكلة وفق نظام السور وهو إطارها المرجعي وهذه العلوم التي هي الغرف تستمد من السور بنيتها المعرفية وطريقة بنائها، في حين إن مجموعة الخيام هي التي تجعلك تقرأ العقل كأنه جزر منعزلة أو تقرأ هذه العلوم في هذه الحضارة العربية كأنها جزر منعزلة وكل جزيرة لوحدها. ما أعان الجابري على هذه القراءة أنه جاء، وتسبقه لحظة عربية مقدارها 100 عام قد تم فيها تحقيق نصوص كثيرة ودراسة العلوم العربية واستخراج نصوص رئيسية تم تعقيدها وهناك أيضاً دراسات اشتغلت على هذه العلوم كخيار فهو جاء الآن يريد أن يستثمر كل هذا الانجاز لكي يدخلها ضمن السور، وقد نجح نجاحاً كبيراً جداً في أن يرينا كيف أن هذه المرجعية دخلت في كل هذه العلوم ولكن هذا النجاح في حد ذاته شابه الكثير من الإشكاليات. وأشير إلى أن تقسيم العقل العربي إلى ثلاث حالات فيه شيء من الانحياز ليس أيديولوجياً وإنما انحياز إبستومولوجيا أو معرفي. ولست ادري إن كان يصح أن نسمي الأبيستومولوجيا انحيازاً لأن الإبستومولوجيا هي معرفة من الدرجة الثانية وليست معرفة من الدرجة الأولى، المعرفة من الدرجة الثانية بمعنى أنها تخضع المعرفة للتفكير وهي تفكير في العقل، منطلق الجابري لدراسة العقل هو أنه كان يريد أن يفهم، كان يريد أن ينتصر إلى العقل الذي يعني ربط الأسباب بالمسببات.

هذا هو العقل الذي انحاز له الجابري وكان يشتغل عليه طوال مشروعه، والذي جعله يمايز بين العقول في الثقافة العربية. إن لب مشروع الجابري كان قائماً على فهم العقل باعتباره ربط سبب بمسببات، من أين يأتي هذا المفهوم؟ يأتي هذا المفهوم من العقل اليوناني، العقل اليوناني كما فهمه الجابري هو العقل الذي يربط الأسباب بالمسببات ربطاً علمياً محكماً في مقابل أن العقل العربي عقل لا يربط الأسباب بالمسببات، عقل قابل للتجاوز قابل أن يتجاوز فيه السبب مع المسبب قابل لهذه الانزلاقات وهذا هو مأزق العقل العربي كما يفهمه.